دور الأغواط في الثورة التحريرية الكبرى. مصطفى بن عمر أنموذجاً.

د. بن جلول هزرشي
جامعة الجلفة

الملخص:

احتلت الأغواط مكانة محورية في النشاط الثوري الذي عرفته الجزائر خلال الثورة التحريرية الكبرى ، وتصدر الفعل الجهادي قادة وزعماء من أبناء المدينة كان من أبرزهم المجاهد مصطفى بن عمر الذي يؤرخ من خلال كتابه للملحمة التاريخية التي سطرها الأغواطيون ، والمشاكل التي كانت تعاني منها الثورة كنقص السلاح ، والحركات المناوئة للثورة. كما يرصد دور الأغواط في المقاومات الشعبية ، والحركة الوطنية ، والنشاط الكشفي، والأعمال الفدائية التي عرفتها ، ودور أبنائها في تموين الثورة ودعم المجاهدين.

الكلمات المفتاحية:

الأغواط ، الثورة الجزائرية ، الولاية السادسة ، محمد بلونيس ، مصطفى بن عمر ، الولاية الرابعة ، الاتصالات السلكية واللاسلكية.

Abstract:

Laghouat occupies a pivotal role in the revolutionary activity that Algeria experienced during the Great Liberation Revolution. Jihadist leaders and leaders of the city led the jihad. The most prominent of these was the Mujahideen Mustafa Ben Omar, who chronicles the epic of the Greeks and the problems of the revolution, Anti-revolutionary movements. The role of Laghouat in the popular resistance, the national movement, the scout activity, the guerrilla acts that I have known, and the role of its sons in supplying the revolution and supporting the Mujahideen are also monitored.

Key words:

Laghouat, Algerian Revolution, Sixth State, Mohamed Belounis, Mustafa Ben Omar, Fourth State, Telecommunications.

مقدمة:

لعبت الأغواط عبر تاريخها الموغل في القدم دورا متميزا في مقاومة الإحتلالات الأجنبية ، وسجل أهلها بحضورهم، ومساهماتهم العسكرية ، والفكرية ، والإعلامية صفحة كتبت بأحرف من ذهب في سجل تاريخ الجزائر عبر مختلف الحقب التاريخية ، الأمر الذي تؤكده المراجع ، والمصادر ، وبمختلف اللغات الأجنبية ويعتبر المجاهد مصطفى بن عمر انموذجًا حقيقيًا يجسد هذا الدور الحضاري . فقد لعب دورًا كبيرًا من خلال من خلال جهاده أثناء الثورة التحريرة الكبرى . تتناول هذه الورقة دور المجاهد الثوري من خلال مذكراته الموسومة بـ: "الطريق الشاق إلى الحرية" ، ونشاطه في الولاية الرابعة ، والخامسة ، والسادسة، منذ إلتحاقه بالجهاد ، ثم نشاطه بالمنطقة الثامنة في ظل المؤامرات ، والمجابهات والمآثر العسكرية ، ولقاءاته مع أبرز القادة السياسيين، والعسكريين الذين ارتبط اسمهم بعظمة الثورة الجزائرية . يضاف لذلك دوره في جلب السلاح ، ومحاربته للحركة المصالية . كما ترصد مجموعة من الامثلة لشخصيات أغواطية لعبت دورا كبيرا في مقاومة الاحتلال الفرنسي أثناء الثورة التحريرية الكبرى.

أولا: تقديم الكتاب :

عنوان الكتاب هو : "الطريق الشاق إلى الحرية" من تأليف المجاهد و الدبلوماسي مصطفى بن عمر صدر عن دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع بالجزائر عام 2007 بالفرنسية ، ثم تم تعريبه من طرف الأستاذ محمد بوزيدي ، وراجعه لغويا الدكتور ابن حويلي الأخضر ميدني . يتكون من ثمانية (08) فصول ، و بلغ عدد صفحاته 273 صفحة .إن قراءة دقيقة لمحتوى مذكرات مصطفى بن عمر تسمح لنا بإبراز دور الأغواط التاريخي عبر العصور ، وبتحديد أهم القضايا والإشكاليات التي عرفتها الثورة الجزائرية ويمكن رصد القيمة التاريخية للكتاب في :

1- يذكر بماضي الأغواط العريق الذي تبرزه البقايا الأثرية ، والشهادات التي تتناولها المصادر القديمة و الرحلات كرحلة العياشي 1663 ، و رحلة احمد الناصري 1709 ، يضاف إلى ذلك دور أبنائها في المقاومات الشعبية(1) ، و الحركة الوطنية و ثورة التحرير الكبرى(2).

2- يؤرخ لتطور الثورة الجزائرية كأحداث و معالم زمنية و معارك و اشتباكات ، وشخصيات وطنية بعضها معروف ، وبعضها الأخر مجهول . و بالتالي فهو مصدر تاريخي للقارئ المبتدئ ، و الباحث الأكاديمي .

3- يؤرخ لدور أبناء الأغواط البطولي خلال الثورة التحريرية الكبرى 1954- 1962 من خلال :

أ- إبراز دوره الجهادي ، و المهام التي كلف بها أثناء الثورة ، داخل الوطن و خارجه .

ب- إبرازه لعديد من الأسماء و الشخصيات الأغواطية مارست هي الأخرى فعلا جهاديا بعضها غير معروف في المراجع، و المصادر التاريخية .

4- يقدم لنا مصطفى بن عمر في كتابه نظرة وجيزة ، و مثيرة حول بعض القضايا و الإشكاليات التي عرفتها الثورة خلال الفترة الممتدة بين 1954-1962 مثل المؤامرات التي اصطدمت بها الثورة ، و الخيانات التي عانت منها ، و التصفيات التي عرفتها ، وبعض الأحداث التاريخية التي مازالت تثير إشكاليات ، و صراعات حتى اللحظة التاريخية الراهنة .

5- يؤرخ لتطور شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، و يقدم نبذة عن تاريخ الهيئة و نشاطاتها و التضحيات التي قدمها المنضوون تحت لوائها لخدمة الثورة على المستويين الداخلي و الخارجي .

6- يؤرخ لإمداد جيش التحرير الوطني بالأسلحة ، والذخيرة ، و يقدم معلومات غير موجودة في مصادر أخرى ، و تصدي المجاهدين لنشاط و مساعي المخابرات الفرنسية في تحقيق مساعيها الرامية إلى خنق الثورة ، كذلك يشير إلى دور ليبيا ، والمغرب ، ومصر ، ودول المعسكر الشرقي و محاولات اغتيال بعض ممن كانوا يمونون الثورة بالسلاح في ألمانيا مثلا.

7- يشير إلى المطامع الإقليمية للتونسيين ، والمغاربة في الأراضي الجزائرية و يؤكد إطلاع بوصوف عليها

ثانيا: دور مصطفى بن عمر النضالي :

تبدأ ملحمة مصطفى بن عمر الجهادية بتاريخ 24 ماي 1956 تاريخ سفره من الأغواط باتجاه المدية مع ثمانية طلبة لم يتعد معدل أعمارهم 18 سنة بهدف الانضمام للثورة ، ومغادرة مقاعد الدراسة في ثانوية بن شنب . بعد تنسيق مع أحد المناضلين إلتحق عمر مع رفاقه بالجبل بتاريخ 26 ماي 1956 ، و خضع في

أحد مراكز التدريب لتكوين دام ثلاثة أسابيع حول المبادئ المتعلقة بأعمال النجدة ، و التدريب على السلاح ، و الحراسة في الليل ، و يرصد المجاهد في كتابه الظروف الطبيعية القاسية ، و الحالة النفسية المتوترة التي طبعت حياة المجاهدين في الجبل ، و عمليات التطويق و القصف بالطائرات ، و استخدام أسلحة النابالم . كما وقف على الكثير مما تحلى به المواطنون من شيم إنسانية، و أخلاقية، و دورهم في دعم الثورة ماديا.

حضر إجتماع 22 أكتوبر 1956 بحضور اوعمران ، وعلي ملاح للإطلاع على مقررات مؤتمر الصومام ، و النتائج التي تمخض عنها ، كلفه بعد ذلك العقيد علي ملاح بالقيام بجولة استطلاعية شمال الولاية السادسة ، قدم بعد أسبوعين تقريرا مفصلا له ركز فيه على :

- قلة العتاد و الأسلحة في الولاية ، والطبيعة الجغرافية للمنطقة لا تسمح من الناحية العسكرية بالقيام بكمائن ، و لذلك ينبغي التفكير في شن هجمات خاطفة على مراكز العدو و القيام بعمليات فدائية داخل المدن و القرى .

- ضرورة العمل على تضييق الخناق على عناصر بلونيس الذين كانوا يسيطرون على عدة نواحي .

- العمل على توفير تأطير أكثر نجاعة لكامل سكان جنوب التيطري .

في السياق ذاته شارك مصطفى بن عمر في عدد كبير من المعارك و الهجومات ، و الأعمال الفدائية ضد الفرنسيين ، وقوات بلونيس(3).

ثالثا: رجل المهمات الكبرى :

بسبب مشاكل نقص السلاح التي كانت تعاني منها الولاية الرابعة كلف علي ملاح المجاهد مصطفى بن عمر بالذهاب إلى الجنوب الوهراني ، و جلب الأسلحة من الولاية الخامسة. رافقه النقيب عبد العزيز وحوالي 220 مجاهد للوصول بهم إلى المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة أي منطقة القعدة.

أثناء الطريق أشعل المجاهدون النار ببعض مزارع الكولون لتمويه و تضليل قوات الاحتلال . كما شارك في عدة اشتباكات أصيب في بعضها .

عندما وصل إلى سبقاق أمر قائد الكتيبة بالاحتماء بالقعدة ، و أخبر رفاقه بأنه سيغيب مدة أسبوع خلالها تمكن و بعد جهد كبير ، وبصعوبة بالغة من دخول مدينة الأغواط و لقاء أهله و بهدف العلاج و استئصال الرصاصة التي استقرت بفخذه ، و هو الأمر الذي نجح في تحقيقه. وبعد خروجه من الأغواط و تنقله بين القعدة ، و البيض شارك مصطفى بن عمر في عدة معارك كان من أبرزها معركة خناق عبد الرحمان التي جرت وقائعها بتاريخ 19 ماي 1957(4). أقحمت فرنسا في هذه المعركة 30 طائرة حربية ، و 50 دبابة ، طوقت المكان بجيوش من المشاة لا يمكن حصرها ، و المظليين العائدين من مصر بعد العدوان الثلاثي ، و ثلاثة فيالق من جنود اللفيف الأجنبي ، و الفيلق الأول للمظليين الأجانب ، و الفيلق الثاني لمضلي البحرية استمرت المعركة ثلاثة أيام أستشهد فيها 78 من المجاهدين ، و خسر العدو 102 من جنوده بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى. لم يبق على قيد الحياة من أفراد الكتيبة التي قادها من الولاية الرابعة إلى الجنوب الوهراني سوى لزهاري بن شهرة و مرزوق عبد القادر(5).

بعد نجاحه في مهمته التي كلف بها ، و هي جلب الأسلحة من الولاية الخامسة كلفه العقيد بوقرة بمهمة جديدة في الولاية الثالثة للاستفسار عن السلاح الذي كان يفترض أن يصل إلى الولاية الرابعة من تونس ، والاتصال شخصيا بقائدها عميروش الذي التقى به ، و طلب منه إبلاغ بوقرة بأن الأسلحة ستصله ريثما تأتيه من الأوراس .في سنة 1958 كلف بوقرة المجاهد مصطفى بن عمر بمهمة جديدة في تونس بعدما اعتبر أن ما قام به في الولاية الخامسة والثالثة كان ناجحا و أوصاه بالتقصي أثناء رحلته حول الوحدات التابعة للولاية الرابعة التي كلفت بجلب الأسلحة من تونس ، و بالعمل على التعجيل بعودتها و كذا بإفادته بتقرير حول وضعية الوحدات المتمركزة بالحدود ، و الأسباب التي حالت دون مغادرتها هذه الأماكن و الإتيان بالأسلحة .

في تونس عايش المرارة ، و خيبة الأمل بسبب المشاكل و ألقي عليه القبض من قبل جنود الولاية الأولى و سجن بعد ذلك اقترح عليه الطبيب الجغلالي و الرائد صالح (محمد زعموم) الذهاب إلى إحدى البلدان الأجنبية لتلقي تكوين في إحدى التخصصات لكنه رفض. و نتيجة ذلك عرضا عليه المشاركة في تربص يتعلق بالاتصالات حيث تلقى دروسا نظرية، و تدريبات تطبيقية لمدة ثلاثة أشهر. اشتغل بعد ذلك في مركز الكاف و كلف باستغلال الاتصالات ، و تحرير النشرة اليومية ، و التنصت على المحطات المدنية و العسكرية الفرنسية في السياق ذاته تم تكليفه بتوفير المهام الأمنية أثناء إجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقدة بطرابلس من 16 ديسمبر إلى 18 جانفي 1960 .

بعدها كلف مع عزوز عزالدين بالذهاب إلى لبنان لبناء شبكة من العلاقات ، و للحصول على الدعم العسكري ، و المعدات الإلكترونية من سوريا و العراق . و نتيجة إحساسهما بأن الاستخبارات الفرنسية تتبع أثارهما انسحبا إلى جهة معزولة من الجبل اللبناني. و هناك احتضنتهما طائفة الدروز التي كانت تحت سلطة مجيد أرسلان . كلف سنة 1960 بمهمة في المغرب تتعلق بالاتصالات أو مهمة الاستخبارات المضادة على مستوى القطاع الغربي للمغرب حيث يوجد مقره بالرباط . حضر إجتماع طرابلس خلال الفترة الممتدة بين 26 ماي و 05 جوان 1962 و اطلع على الصراع بين هيئة الأركان ، و الحكومة المؤقتة .عاد بعد الإستقلال إلى الأغواط ، و انتقل إلى العاصمة و طلب تسريحه من الجيش و إلتحق بوزارة الخارجية سفيرا في بعض العواصم الإفريقية ، و الأوروبية. كما تقلد عدة مهام وزارية من بينها وزيرا للتربية الوطنية .

رابعا: دور أبناء الأغواط في الثورة من خلال مذكرات مصطفى بن عمر:

يقف القارئ لمذكراته على مجموعة من الأمثلة لشخصيات أغواطية لعبت دورا كبيرا في حركة و فعل النضال ، و الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي. و يمكن رصد تلك الأمثلة فيما يلي :

- دور الأغواط في مساندة ثورة الأمير عبد القادر و ما ترتب عنه من احتلال الأغواط سنة 1852 و ما أرتكبه الفرنسيون من مجزرة رهيبة أكدتها بعض الشهادات الصادرة عن الضباط الفرنسيين ، الذين شاركوا في احتلال الأغواط أمثال ماري مونج و دوبراي ، و أوجين فرمنتان في كتابه " صيف في الصحراء ".

- انخراط و نضال بعض أبناء الأغواط في الحركة الكشفية ، و الحركة الوطنية مثل حزب الشعب ، و حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، و الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان والده مناضلا فيه و قائدا للفرع المحلي للكشافة(6).

- يؤرخ مصطفى بن عمر للحركة الرياضية في الأغواط من خلال فريق الهلال الذي أنشأه محمد بن سالم عضو اللجنة المركزية للإتحاد الديمقراطي للبيان و مندوبه بالأغواط .

- يبرز الدور الكبير الذي لعبه الطلبة في صفوف الثورة الجزائرية و من بينهم الذين اصطحبهم في رحلته من الأغواط إلى المدية قصد الانضمام للثورة و عددهم ثمانية و هم : محمود بن عمر (عمه) ، محمد زروق (ابن أحد عماته) ، الأزهري جريدان ، محمد الحاج محبوبي ، الطاهر بوشارب ، البشير قازي ، خالد التاج ، الطاهر مرجاني ، وهو .

- يذكر اسم شخصية من الأغواط عرف بنشاطه الثوري نجا من هجوم نفذه جيش التحرير ضد سيارة درك كانت تحمل المدعو " قدور دوه " لمثوله أمام محكمة البليدة ، و أنه بعد هذا الكمين سأل قدور دوه المجاهدين عن المصاليين و موقفهم من الثورة ، فلما أبلغوه بأنهم انحرفوا عن المبادئ الثورية اضطرب و ضرب الأرض بالرشاش الذي كان بيده فانطلقت منه رصاصة أودت بحياته .

- بعد إجتماع 22 أكتوبر 1956 بحضور اوعمران و علي ملاح للإطلاع على قرارات مؤتمر الصومام يذكرنا بمصير الطلبة من الأغواط الذين انخرطوا معه في صفوف الثورة فقد تم تعيين عمه محمود بالمتيجة بإحدى الكتائب التي تنشط عبر الولاية . و تم تعيين كلا من زروق ، بوشارب ، محبوبي ، جريدان في المنطقة الثالثة (منطقة الونشريس و الشلف) و تم تعيينه في الولاية السادسة .للتذكير عاد مرجاني إلى الأغواط بعد أن طلب منه زملاؤه إعادة أمتعتهم إلى ذويهم . كما يؤكد مصطفى بن عمر أن زروق محمد ، و بوشارب الطاهر ، و محبوبي محمد قد استشهدوا في ميدان الشرف بينما ظل غازي بشير ، و التاج خالد على قيد الحياة حتى بعد الإستقلال .

- في السياق ذاته يذكر بعض الأعمال الفدائية التي عرفتها مدينة الأغواط كتخريب محطة توليد الكهرباء ليلة 14 جويلية 1957 ، و استشهاد ثلاثة مجاهدين من الأغواط و هم : بن زيان أحمد ، حشاني جاب الله ، التهامي محمد . و كرد فعل من المستعمر ألقى القبض على المشتبه بهم الذين كان من بينهم والده الحاج عيسى بن عمر الذي تعرض و غيره لعمليات تعذيب بشعة. كما جرت محاولة أخرى لتفجير جسر المدينة الذي يعبر مجرى الوادي لكن العملية لم تتم بسبب انفجار اللغمان . و قد تنوعت مصادر تفسير ما حدث لدى السكان ، من بينها رواية تؤكد أن طائرة مصرية أرسلها عبد الناصر أخطأت هدفها المتمثل في تدمير الثكنة العسكرية الواقعة على مرتفعات المدينة .

- في شهر أوت 1957 إلتحق بجبال القعدة معلمون من الأغواط هم : بوشريط الأشحم ، زروق الطيب ، مقدم محمد ، بالإضافة إلى متطوعة هي الفتاة الصادق حنانة ، و قد إلتحق قبلهم اثنان من زملائهم هما : السوفي محمد ، و لحبيب شهرة الذي أستشهد بالبيض . و قد أرسل الطلبة من الأغواط إلى المغرب باستثناء حنانة التي فضلت البقاء في الجبل لدعم الثورة .

- في إطار تموين الثورة ، و دعم المجاهدين بما يحتاجونه (ألبسة و أحذية) يذكر مصطفى بن عمر المجاهد أحمد الزبير الذي كان يمتهن الخياطة بالأغواط قبل أن يغادرها سنة 1956 ، و يلتحق بأتباع زيان عاشور اعتقادا منه أنه قد انظم إلى صفوف جيش التحرير الوطني ، و بعد أن مكث معهم بضعة أشهر إلتحق بالولاية السادسة وواصل نشاطه الثوري حتى ألقي عليه القبض سنة 1961 ، في السياق ذاته يذكر أن عمه أستشهد بأعالي شفة في 15 أفريل 1957

- قبل الذهاب إلى تونس سنة 1958 استعلم مصطفى بن عمر عن أحوال الطلبة الذين كانوا قد التحقوا بالولاية الرابعة ، و أخبر أن البعض منهم لا يزال على قيد الحياة مثل محمد زروق ، و محبوبي محمد الحاج ، و جريدان الأزهري ، و بوشارب الطاهر ، و قد استشهد جميع هؤلاء بجبال الونشريس و الأطلس البليدي ، و لم يكونوا قد تجاوزوا سن العشرين من أعمارهم .

- في إطار إبرازه للدور الفعال الذي لعبه سلاح الاتصالات السلكية و اللاسلكية(7) يذكر لنا مصطفى بن عمر الدور الكبير الذي لعبه المجاهد عمار ثليجي ، كما يذكر لنا اسم المجاهد بن حرزا لله النبق الذي كان مع عمر إدريس أسفل جبل سيدي ثامر بتاريخ 28 مارس 1959 الذي يرتبط بوفاة و استشهاد العقيد عميروش وسي الحواس.

الخاتمة:

عموما لعبت الاغواط عبر تاريخها الطويل دورا بطوليا ورائدا في مقاومة الإحتلالات الأجنبية ، التي خضعت لها الجزائر سواء من خلال المقاومة الثقافية التي إستهدفت الحفاظ على ذاتية الإنسان الجزائري وهويته الحضارية العربية الإسلامية ، و التي ظهرت جليا من خلال الحركة الإصلاحية ، أو عبر المقاومة السياسية بواسطة الإنخراط في الحركة الوطنية بمختلف تياراتها السياسية ، ومشاربها الثقافية والإيديولوجية ، أو من خلال المقاومة العسكرية التي جسدها إنخراط أبناء الأغواط في الثورة التحريرية الكبرى ، وإستشهاد عدد كبير منهم دفاعا عن حرية و إستقلال الجزائر .

الهوامش:

1. مداني، لبتر، **الأغواط صفحات من الحضارة والتاريخ**، ط1، الجزائر، 2006، ص ص 65-80.
2. مصطفى بن عمر ، **الطريق الشاق إلى الحرية** ... ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، ص 16.
3. المرجع نفسه ص 23
4. خليفة، لبوخ ، **معركة خناق عبد الرحمان** ، 19 ماي 1957 ، منشورات جمعية أول نوفمبر ، الجلفة ، 2007 ، ص 23.
5. بسام العسلي ، جهاد الشعب الجزائري ، الجزائر والإستعمار ، ج1 ، دار العزة والكرامة للكتاب ،الجزائر، دار النفائس بيروت ، ص 48 . و

LAZHARI , BEN CHOHRA , LA BATAILLE DU KHNEG ABDERRAHMANE , IN Récits de Feu , Temoignages sur la guerre de Liberation National , presentés par Mahfoudh kaddache . SNED , Alger 1976 PP 141,45

6. يلاحظ الباحث أثناء قراءته لمذكرات مصطفى بن عمر عدم إشارته لنشاط الحركة الإصلاحية في الأغواط ، ودورها الثقافي والفكري في مواجهة سياسة فرنسا الثقافية المرتكزة على مبدأ التشويه التاريخي ، والحضاري ، وطمس معالم الشخصية الوطنية . أنظر : محمود ، علالي ، **الحركة الإصلاحية في الأغواط** ، دار هومة للنشر، 2008،الجزائر.
7. للتعرف أكثر على تطور سلاح الاتصالات في الجزائر خلال الثورة التحريرية الكبرى أنظر: **التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 62.56**، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2001.